

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 4 (2009) : 161 - 171
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

اختيار موضوع البحث العلمي بين الذاتية والموضوعية

أ/ حورية رزقي قسم الغة والأدب العربي جامعة جيجل

تمثل مراحل البحث العلمي الطريق الواضح الذي يسلكه الباحث ضمن قواعد متفق عليها، فيسير على هداها فلا يضل الطريق ولا يزيغ عن الهدف ولا يقصر عن الغاية المأمولة، ويتطلب البحث العلمي العديد من المهارات في مقدمتها اختيار الموضوع. لاحظنا ما يعانيه طلبة الدراسات العليا من صعوبة اختيار موضوع البحث، هل سيخضع الاختيار لاعتبارات ذاتية تندرج ضمن مهاراته وقدراته واستعداده النفسي، أو لاعتبارات موضوعية تخضع لمتطلبات المؤسسات لتحقيق أهدافها دون مراعاة الجوانب الأخرى. ولأهمية هذا الجانب في مراحل البحث العلمي ارتأيت أن تكون مداخلتي موسومة بـ: اختيار موضوع البحث العلمي بين الذاتية والموضوعية.

يعد اختيار موضوع البحث العلمي الخطوة الهامة والأساسية في أي رسالة أو بحث لأنه يتوقف عليه بقية المراحل والخطوات، لذلك ليس من السهولة التوصل إلى اختيار موضوع يكون مناط بحث رسالة أكاديمية، وخاصة في عصرنا هذا حيث كثر انتشار الجامعات والمعاهد في أنحاء الوطن العربي، فيجد الباحث موضوعا سبق دراسته من طرف باحثين آخرين ـ لا أقول بأن السابقين قد كتبوا في كل شيء ولم يتركوا للاحقين شيئا ـ إلا أنه قد يصلح ذلك الموضوع لبحث جديد إذا تغيرت الظروف التي كانت تحيط بالبحث الأول، أو استجدت عوامل تقتضي إعادة البحث، فيخضع لمعالجة جديدة أو لدراسة أعمق وأوسع.

ونجد الكثير من الطلبة الباحثين في بداية حياتهم العلمية لا يدخرون جهدا في التوجه إلى أساتذتهم واستجداء مواضيع للبحث، ظانين أن الأمر هين، ناسين أن من يفعل ذلك قد

يضيع عن نفسه متعة التفاعل مع موضوع يتلاءم وميولاته المختلفة، وربما أدى به الأمر بعد فترة إلى تغيير الموضوع بعد أن ضيع شوطا من الزمن لم ينجز شيئا.

يقول أحد الأساتذة:" إن طالبا أراد أن يسجل موضوعا للحصول على درجة الدكتوراه، وحينما طلب مني مساعدته في اختيار موضوع، نصحته بان يختار موضوعا يتفق مع ميوله، ويفيد من خبرته السابقة في دراسة بحثه للماجستير، ولكنه ألح في الطلب؛ لذلك اخترت له موضوعا معينا،... ومضى عام بأكمله دون أن يفعل الباحث شيئا له قيمة في موضوعه، لذلك لجأ إلى تغيير الموضوع واختيار آخر نابع من رغبته الشخصية في بحثه ودراسته." (1)

إن اختيار موضوع البحث مهمة الباحث وحده، وأول شيء يطالب به هو حب المعرفة والقراءة، فالباحث الجيد هو الذي ينكب على طلب المعلومة فهو كثير الأسئلة وزيارة المكتبات واستعارة الكتب، وحضور الندوات والملتقيات والدورات التدريبية. وفي هذا الإطار يركز مُحَّد الصاوي على بعدين أساسيين في شخصية الباحث هما، استعداده من جهة وإعداده من جهة أخرى، على اعتبار أنهما عاملان أساسيان في بناء الباحث، وفيما يتعلق باستعدادات الباحث يذكر أن حب الاطلاع والعلم وصفاء الذهن والصبر والمثابرة والقدرة على التخمين والخيال والإلهام الفكري سمات ضرورية للباحث يمكن أن تنمى بالتربية والتعليم، أما ما يتعلق بمجال إعداد الباحث، فإن القراءة الواعية والإلمام بقواعد العلم وكذلك اللغة، وتقليب الأمور وتدبرها وتنمية الفضول العلمي من القضايا الملحة لكل باحث. (2)

وقد اهتم العرب المسلمون بصفات الباحث العالم، حيث يرى الإمام مالك بن أنس في ذلك: ألا يؤخذ الحديث من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى، يدعو الناس إلى هواه، ولا من كاذب يكذب في أحاديث الناس، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة، إذا كان لايعرف ما يحدث به.

ويذكر إميل يعقوب " أن طريق البحث طويلة وشاقة ولا يمكن لسالكها إلا أن تتوافر فيه شروط نفسية وأخلاقية وعلمية أوجزها في توفر الرغبة الجادة لدى الباحث كأساس

للنجاح في أي عمل، وأن يصاحب هذه الرغبة الصبر والصمود وسعة الصدر، وكذلك تمتعه بالمعرفة والثقافة التي تساعده على النقد والتحليل بطريقة تمكنه من ممارسة الشك العلمي في الوصول إلى الحقيقة، ذلك في إطار روح علمية تتسم بالإنصاف والأمانة والنزاهة والموضوعية والقدرة التنظيمية والجرأة." (3)

فالباحث مطالب بالكثير من القراءة الموسعة والمعمقة التي تمكنه من القدرة على اتخاذ القرار وتهيئه لخوض غمار الأعمال المكلف بإنجازها.ولقلة الخبرة لدى الباحث المبتدئ يجد صعوبة في اختيار الموضوع وحتى اختيار الأستاذ المشرف، هل سيختار على أساس رغباته وميولاته أو على أساس ماهو مطلوب في الواقع وما تفرضه المؤسسات بغية تحقيق أهدافها ومراميها؟ فيهرع هنا وهناك، مرة يستشير الأساتذة، وتارة يقلب في رفوف المكتبات، وطورا يتصفح شبكة المعلوماتية، ولا يشفي غليله هذا السعي، ولا يجد ضالته المنشودة، وهنا يضيع على نفسه الكثير من الوقت الذي يعد ثمينا في هذه المرحلة من تسجيلات الرسائل خاصة إذا كانت المدة محددة مثل ماهو في مذكرات الماجستير، لذلك أرى أن أشير إلى بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها الباحث منها:

1. حب الاستطلاع بمعنى الرغبة الذاتية في البحث عن إجابات وتفسيرات مقبولة.

2. التفتح العقلي بمعنى تحرر التفكير من الجمود وتقبل آراء الآخرين حتى لو تعارضت مع آرائه الشخصية.

3. المطالعة الجادة والتردد على المكتبات والإلمام بالبحوث والدراسات التي كتبت عن الموضوع الذي تم اختياره.

4. الموضوعية، لابد أن يتصف الباحث بالحياد العلمي والنزاهة وعدم التمييز وعدم الذاتية، أو التأثر بفكر معين عند عرض موضوعه، بمعنى أن الالتزام بالموضوعية يعني القراءة والتحليل والمحايدة والبعد عن الأهواء الشخصية عند إجراء البحث.

5. الأمانة، على الباحث أن يتمتع بالنزاهة والعدالة والأمانة العلمية في نقل الأفكار وعرضها، ونسبتها إلى أصحابها، ولابد أن يشير إليها في مصادره ومراجعه.

6. الدقة والصبر والتواضع، يجب الحرص على الدقة والوضوح وبذل الجهد في سبيل البحث العلمي دون الشعور بالتذمر أو الضجر، والسعي وراء خدمة العلم مع الابتعاد عن الغرور والتمتع بالتواضع مع الآخرين.

7. الرغبة، وهي شرط لنجاح في كل عمل، وشرط في البحث، فإذا فرض عليك فرضا ضقت ذرعا، ويصعب عليك مواصلة العمل تحت أي ظرف.(4)

هذه بعض المهارات التي يمكن اكتسابها الطالب عن طريق المران والدربة والممارسة، ويضاف إلى ذلك الاستعداد الفطري لدى الباحث الذي يساعده كثيرا في تقديم عمل علمي يفيد منه الذين يأتون بعده من طلاب العلم والمعرفة.

وفيما يخص الموضوع سأبين بعض الاعتبارات النمطية التي وضعها الكثير من الأساتذة الباحثين في كيفية اختيار موضوع البحث العلمي:

1) اختر مادة تثير اهتمامك وتشعر إزاءها بانفعال خاص: فالمستمتع بموضوع البحث لا يشعر بالملل وهو يقضي الساعات في البحث بل سيشعر بالسعادة تغمره والرغبة تحدوه لمواصلة البحث بعزيمة قوية وإرادة صلبة، لأننا ـ كما نعلم ـ البحث عملية مضنية وتكون أكثر صعوبة لو كان الباحث غير مهتم بالموضوع وبعيد عن رغباته أو اختصاصه,

2) اختر مجالا مناسبا، لا تكفي الرغبة وحدها لإنجاز بحث علمي، لابد من توفر الاستعداد الكامل لاعتبارات ضرورية يتطلبها البحث من جهة وآراء المشرف من جهة أخرى.

3) اختر موضوعا قابل للبحث، فلا يكون الموضوع عاما بحيث يصعب على الباحث أن يجمع كل المعلومات المتعلقة به، أو يكون غامضا لم يبحث فيه كثيرا، والمعلومات حوله نادرة وغير كافية.

4) احرص على مطابقة الموضوع لنطاق البحث، يجب ألا يكون حجم الموضوع واسعا جدا أو ضيقا جدا، بل يكون مناسبا لحجم المشروع وفي حدود الوقت المتاح للإنجاز،" لذلك كلما كان الموضوع ضيقا ومحددا صار أكثر صلاحية للبحث والدراسة، واتساع الموضوع وتشعبه فيه الكثير من المخاطر...، لأن ذلك سيؤدي إلى دخول الباحث في الكثير من

الشرح والإسهاب والتطويل والنقل من المصادر، وتكرار البديهيات والمعلومات المعروفة، والبحث العلمي الجيد هو الذي يحتوي على الأفكار والآراء التي يحسن ترتيبها واستخلاص النتائج منها، ولادخل لضخامة البحث وكثرة صفحاته." (5)

5) ضع علامات مساعدة على التركيز، لابد من وضوح المفاهيم والإلمام بالشيء ليتمكن الباحث من مواصلة عمله دون كلل وملل، لذلك عليه أن يضع علامات مساعدة على التركيز كإعداد أسئلة والبحث لها عن أجوبة.

6) راجع البحوث السابقة، الاطلاع على البحوث السابقة قد تساعد في التعرف على النقاط المطلوبة الواجب توفرها في أي مشروع تخرج،فيستفيد الباحث من الخبرات والأفكار الجديدة والتوصيات الهامة ربما يقف على أشياء تثير الإعجاب فيأخذ بها، أو يقف على نقائص يتجنبها.

7) ابحث عن الأفكار في مظانها، يتحصل الباحث على الأفكار من الأشياء التي تثير اهتمامه ومن القراءات والحوارات مع الأساتذة وزملاء الدراسة، ومن المصادر والمراجع العامة والمتخصصة والرجوع إلى بعض الدوريات والمجلات الموجودة في المكتبات.

هذه الاعتبارات كما ذكرت خاصة بموضوع البحث العلمي، حتى لا يبقى الطالب البحث يسير في متاهات تضيع عليه الكثير من الجهد والوقت.

واختيار الموضوع هو في الواقع مهمة الباحث الذي يطرح على نفسه عدة أسئلة قبل تحديد موضوع بحثه وهي:

ـ هل يستحق هذا الموضوع ماسيبذل فيه من جهد؟

ـ أمن الممكن كتابة بحث أو رسالة عن هذا الموضوع؟

ـ هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

إذا كانت الإجابة بالنفي يغير الطالب مسار اختياره إلى موضوع آخر تتحقق فيه هذه العناصر، فالموضوع الذي يسحق بذل الجهد هو الذي يقدم منفعة علمية، ويمكن الاستفادة منه في مجال التخصص.

كما نجد أن الميل الذاتي لموضوع ما، أمر على درجة كبيرة من الأهمية. لذلك عند

اختيار أي موضوع ينبغي توفر عدة شروط أهمها:

. تجنب البحث في موضوع تمت دراسته من قبل، لتترك الفرصة للابتكار والإبداع والإتيان بالمفيد النافع.

. تجنب الموضوعات الواسعة غير المحددة.

. مناسبة الموضوع للمرحلة والوقت، لأن هناك فروقا بين البحث الذي بمستوى الماجستير، والبحث الذي بمستوى الدكتوراه. وكل ذلك يخضع لفترة زمنية تحددها لوائح الدراسات العليا، ورغم يقوم بعض الطلبة الباحثين بتقديم طلب لتمديد فترة التسجيل لأن الموضوع لم ينجز في الوقت المحدد.

. عدم اختيار موضوع قبل التأكد من وفرة مصادره الرئيسة، لأن الأخذ من المصادر القليلة يقلل من قيمة البحث ولا يكسب الباحث الخبرة الكافية،

. عرض الموضوع على الأستاذ، ينبغي للطالب أن يحدد موضوعا أو عددا من الموضوعات التي يختارها، ثم يعرضها على أستاذه للتشاور معه، والاستفادة من خبرته في المجال، "ولا يصح أن تذهب لمقابلة أستاذك بالعنوان وحده ؛ لأنه سيناقشك فيه وسيتحدث معك حوله، ومن المهم أن تبدو عارفا بأسس الموضوع، وبذلك تكتسب ثقته وحسن ظنه بك." (6)

كذلك يجب البقاء على صلة بالأستاذ المشرف، ليرشده من حين لآخر ما يفيده ليحافظ على مساره المنتظم والسليم، ويعرف ما حققه من تقدم في بحثه.

. تجنب الموضوعات الغامضة والمتشعبة، فيجب أن يكون الموضوع واضحا ودقيقا بدءا من العنوان، فالعنوان علامة مرشدة تدل القارئ على فكرة صحيحة،(فكثيرا ما ينبهر القارئ بالعنوان، وعند تصفحه المتن لا يجد ذلك التطابق، فيخيب مسعاه ويعرض عن مبتغاه)

كما يجب الابتعاد عن الأساليب المثيرة على نحو ما نجد في لغة الصحافة، ويجب أن ينصف البحث بالصبغة العلمية الجادة.

. ملاءمة المنهج لموضوع الدراسة، "فكل باحث بحاجة إلى معرفة الأصول العامة في كتابة الأبحاث (منهج البحث) وذلك لأن اتباع الطرق البحثية التي خلص إليها العلماء

يزيد من جمال البحث ويظهر حسن عرضه، كما يساعد القارئ على تصور أبعاد البحث وتفريعاته، وبذلك يسهل عليه فهمه، ويساعد الباحثين المبتدئين على الارتقاء بأبحاثهم، ويوحد خطوات البحث بين الباحثين، دون المساس بالمضامين العلمية أو النتائج التي يتوصلون إليها."(7)

ومن نافلة القول ألا نضيق على أبنائنا الطلبة مجال اختيار موضوع البحث، ونوهمهم أن الأمر في غاية الصعوبة فيدب الوهن إلى نفوسهم وينتابهم القلق والضجر فيعرضون عن تحقيق آمالهم وتجسيد أحلامهم، نشجعهم على خوض مسلك العلم من أبوابه الواسعة ونمد لهم يد العون بالنصح والإرشاد، فالمجال مفتوح ما دام العقل البشري يعمل ويفكر، وعلى الباحث الانطلاق من حيث توقف الآخرون، لذلك يجب معرفة واستيعاب أبحاث السابقين، حتى لا يقعوا في التكرار وضياع الجهود.

ومن الأهداف الهامة للبحث التي يعرفها الكثير منا ما يلي:

1. الوصول إلى حكم لحادثة جديدة لم يبحثها غيره، أو التنبيه على أمر لم يسبق لأحد أن نبه إليه.

2. اختراع معدوم:(الاختراعات والاكتشافات).

3. إتمام بحث لم يتمه من بحثه سابقا.

4. تفصيل مجمل: الشروح، والحواشي، والتحليلات، والتفسيرات، والبيان لما هو غامض.

5. اختصار أو تهذيب ماهو مطول: إذ يستبعد من البحوث ما عسى أن يكون حشو وفضول، ومعارف يمكن أن يستغني عنها في تعليم المبتدئين، وقد شاع هذا قديما ولم يعد اليوم مقبولا كبحث.

6. جمع متفرق: (النصوص والوثائق، والأحداث، والمعلومات..) قد تكون هناك مسائل علمية متفرقة في بطون الكتب موزعة في مصادر ومراجع مختلفة، وتحتاج إلى بحث واستقراء دقيقين ليصل الباحث إلى تصور شامل لما تفرق في صورة قضية واحدة متكاملة

الأطراف والعناصر، وهذا لون من البحث وإن لم يأت بجديد ولكنه جهد مفيد، ييسر للأجيال التالية أن تخطو على أساسه خطوات واسعة.

7. تكميل ناقص: بحث جانب وإهمال آخر، أو اهتمام بقضية وإغفال أخرى.

8. إفراز مختلط: كاستقراء تراجم للأعلام، واستخراج تراجم من مات في أماكن ومناطق مختلفة.

9. إعادة عرض موضوع قديم بأسلوب جيد.

10. التعقيبات والنقائض: هذا لون من البحث يعتمد على التعقيب على بحوث سابقة، أو نقض ما فيها من قضايا، أو إصلاح أخطاء وقع فيها مؤلفون سابقون، وكشف ما فيها من زيف، أو تخطئة ما ورد فيها من آراء واجتهادات.(8)

كما نؤكد على بعض المعايير التي تساعد الباحث في اختيار الموضوع وهي:

. معايير ذاتية: وتتعلق بشخصية الباحث وخبرته وإمكاناته وميوله، حيث لا يستطيع معالجة موضوع ما إلا إذا كان يميل إليه ويمتلك الإمكانات الكافية وهي:

أ. اهتمامه الشخصي بالموضوع.

ب. قدرته على إنجازه بامتلاكه المهارات اللازمة للقيام بالبحث.

ج. توفر الإمكانات المادية .

د. المساعدة الإدارية وتعاون المسئولين معه.(9)

. معايير اجتماعية وعلمية: وتتعلق بأهمية الموضوع وفائدته العلمية وهي:

– الفائدة العملية حيث يسأل الباحث نفسه، هل هذا البحث مفيد؟ وفيم تكمن فائدته؟ وما الجهات المستفادة منه؟ وبالإجابات الإيجابية يعرف الباحث النتائج المرجوة حيث لا تبقى الأعمال مجرد أفكار ونظريات، لابد أن تتحول إلى وظائف عملية نافعة، كما أشار إلى ذلك عالم اللغة الانجليزي "جون أوستين" في كتابه "كيف ننجز بالقول عملا Quand dire c'est faire ".

– كذلك يجب أن يسهم البحث في تقدم المعرفة وعلى الباحث أن يضيف شيئا إلى المعرفة الإنسانية وأن يثير اهتمام باحثين آخرين بمعالجة جوانب أخرى في الموضوع، فتأتي

دراسات أخرى تكون مكملة لهذا الموضوع أو ضابطة له.

وإثر هذه المعايير يمكن تقويم مشكلة البحث،

– هل تعالج المشكلة موضوعا حديثا أو موضوعا مكررا؟

– هل سيسهم هذا الموضوع في إضافة علمية معينة؟

– هل تمت صياغة المشكلة بعبارات محددة وواضحة؟

– هل يمكن تعميم النتائج المتوصل إليها من خلال بحث هذه المشكلة؟

– هل ستقدم النتائج فائدة عملية إلى المجتمع؟(10)

ويمكن أن يخضع الموضوع لمعايير أخرى تتطلبها طبيعة الدراسة، إلا أني ذكرت أهمها باختصار.

كما أن هذا العرض يمكن أن تضاف له عناصر أخرى تدعمه، وتبرز مدى قيمة حسن اختيار موضوع البحث العلمي لأنها نقطة الانطلاق نحو العمل الجاد الذي يؤتي أكله بعد حين.

الخاتمة

حاولت في هذه الدراسة أن أبرز أهمية اختيار موضوع البحث العلمي كمرحلة أساسية من مراحل البحث، حيث توصلت إلى مجموعة من النتائج وهي:

- **أن البحث لا يكون ناجحا ونافعا إلا إذا انطلق من رغبة الباحث.**
- **يجب أن يكون الموضوع مرتبطا بالقضايا الهامة في المجتمع أو بأحد فروع المعرفة.**
- **أن يستحق البحث الجهد المبذول.**
- **معرفة الطالب بلغات أخرى لها علاقة بالموضوع.**
- **أن يكون البحث في حقل تخصص البحث.**
- **الحاجة الملحة إليه.**
- **جدة الموضوع وأهميته.**
- **هدف الباحث من كتابة الموضوع (للحصول على درجة أكاديمية، أم هناك أسباب أخرى...).**
- **إبراز آخر ما توصل إليه الفكر البشري في مجال ما.**

- نضاهي ما يكتبه المتخصصون ونقدم للإنسانية خدمات كبيرة.
- تقديم الوسائل النظرية على الوسائل التطبيقية، وذلك أن يمتلك الباحث التصور الكامل للمراحل التي سيقطعها في هذا السبيل الشاق، من لحظة التفكير في إشكالية البحث إلى ساعة التتويج بنيل الشهادة العليا.
- زرع أخلاق الباحثين النزهاء، منذ الخطوات الأولى، فالبحث أخلاق فاضلة قبل كل شيء.
- الاطلاع على مناهج البحث العلمي ودراسة تقنيات البحث.
- الهدف من الأبحاث إثراء الفكر والمكتبة.
- احترام قدرات الطالب الذاتية، لأن له مهارات ومعرفة بهذه المواضيع مما يجعل لديه الاستعداد النفسي لبحثها.

التوصيات

. تشجيع الطلبة الباحثين على إبراز قدراتهم في ميادين تخصصهم، بترك لهم حرية اختيار مواضيع بحوثهم، ومساعدتهم في الارتقاء بتفكيرهم وعملهم.

. توفير الإمكانات المادية المختلفة، وفتح أبواب الحوار معهم، والتواصل معهم لتحقيق الهدف المنشود.

. لابد من اختيار الموضوع الذي يناسب الوظيفة التي يريد ممارستها، ليستغل نتائج بحثه في تحسين وتطوير مهنته مستقبلا.

. تزويد البحث بالكثير من المراجع والمصادر الهامة.

. تزويد الباحث بالكثير من الأفكار والأدوات والإجراءات التي يمكن أن يفيد منها في إنجاز بحثه.

. توجيه الباحث إلى المزالق التي وقع فيها الآخرون وتعريفه بالصعوبات التي واجهها الباحثون.

. تعميم نتائج الدراسة ليفيد منها الآخرون، ولا تبقى طي المكاتب والأدراج.

. إعطاء البحث قيمة علمية، بطبع البحوث الجيدة ونشرها.

. التعرف على المناهج العلمية المتخصصة، فعلى ضوئها يتحدد السبيل للوصول إلى الحقيقة.

. عقد ندوات وملتقيات تكون دورية للاستفادة من خبرات وتجارب المتخصصين.

الهوامش

. محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية ، ط 1، السنة 200 م، ص193.

. ينظر مُحَمَّد الصاوي مبارك ، البحث العلمي، أسسه وطريقة كتابته، المكتبة الأكاديمية، بيروت، ط السنة 1992م ص 35.

. إميل يعقوب، كيف تكتب بحثا (منهجية البحث)، جروس برس للنشر، طرابلس ، ط ،السنة 1986م، ص 42.

. ينظر محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 219.

. المرجع نفسه، ص 195.

. المرجع نفسه، ص 196.

. مُحَمَّد هشام النعسان، منهج البحث العلمي، تعريف، وهدف، وأهمية، الموقع

http://www.al.mishkat.com . ينظر المرجع نفسه.

. ينظر مقال من موقع مقالات وأبحاث ومواضع عن البحث العلمي:

http://www.hrm-group.com

1. المرجع نفسه.